تفريغ محاضرة رقم (82)

- شرح كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد -

للشيخ / خالد منصور

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد إن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى أله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد،،

بلغنا بحول الله وقوته مع فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله وطيب ثراه، باب قول الله عز وجل: (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون)، قال مجاهد: ما معناه؛ هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن أبائي، وقال عون بن عبدالله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا وكذا.

وقال ابن قتيبة رحمه الله: يقولون هذا بشفاعة ألهتنا.

وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه أن الله تعالى قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر)، الحديث، وقد تقدم، قال أبو العباس: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يَذُم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

قال بعض السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم: هو كقولهم كانت الريح طيبة، والمَلَّاح حاذقًا ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثيرة.

قال الإمام رحمه الله فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جارٍ على ألسنة كثيرة.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة.

الرابعة: إجتماع الضدين في القلب.

طبعاً ده باب من أبواب الكتاب فيه خواتيم الكتاب أبواب بتبقى قِصار وسريعة ومختصرة الفوائد، لإن خلاص جُل الكتاب والمادة العلمية الرصينة في هذا البناء العلمي المحترم؛ كتاب التوحيد وشرحه فتح المجيد كان خلاص يعني تم ذلك في الفصول والحلقات الأُول بحمد الله وقوته، إحنا كده تجاوزنا ثمانين حلقة من شرح الكتاب، هنشوف كلام الشيخ العلامة حسن بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله.

قال: قوله: باب قول الله عز وجل: (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون)، قال: ذكر المصنف رحمه الله ما ذكر بعض العلماء في معناها، في معنى الآية.

وقال ابن جرير رحمه الله: فإن أهل التأويل إختلفوا في المَعْنِي بالنعمة، أهل التأويل أئمة التفسير، والتأويل هنا بالمعنى الشرعي المقبول، لأن التأويل له معنى إصطلاحي عند المتأخرين، وله معنى متقدم عند السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، فمن معاني التأويل عند السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم التفسير، تمام؟ قال: (يا أبتِ هذا تأويل رؤياي قد جعلها ربي حقًا)، أي هذا تفسير منامي وتفسير رؤياي التي رأيتها، تمام؟ وقال الله عز وجل: (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله) الآية معناه ما يؤول إليه الأمر، أو حقيقة الأمر وما يؤول إليه.

يبقى هنا الإمام ابن جرير الطبري لما يقول: فإن أهل التأويل يعني أئمة التفسير، مش أهل التأويل من المتكلمين الذين خاضوا يعني في كتاب الله وسنة رسول الله على غير جادة السلف رضي الله تعالى عنهم، لأ مش كده، يبقى هنا الإمام ابن جرير لما يقول: فإن أهل التأويل إختلفوا في المَعْنِي بالنعمة، يعني إيه هنا (يعرفون نعمة الله) إيه بقى المقصود بنعمة

الله في هذا الموضع؟ طبعاً كلمة نعمة الله مفرد مضاف، والمفرد المضاد بيفيد إيه؟ يفيد العموم، المفرد المضاف بيفيد العموم.

كذلك المفرد إذ يضافُ   فإفهم هُديت الرشد ما يضاف

الشيخ السعدي رحمه الله في المنظومة وهو بيتكلم على ألفاظ العموم،

كذلك المفرد إذ يضافُ   فإفهم هُديت الرشد ما يضاف

فلما هنا يقول: (يعرفون نعمة الله) ده لفظ عام، كل نعمة لله سبحانه وتعالى يعرفها الكافر ثم يكفرها، كل نعمة لله عز وجل يعرفها الكافر ثم يشرك مع الله عز وجل ألهة أخرى، قد يكون الكفر أكبر وقد يكون الكفر أصغر، قد يكون الشرك أكبر وقد يكون الشرك أصغر.

فطبعًا الأمثلة اللي ضربت دي هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن أبائي، إيه وجه الشرك في ده؟ مش شرك أكبر طبعاً حاشا لله، ولا كفر مخرج من الملة، لكن هذا فيه نوع من أنواع رؤية النفس، إن هو شايف نفسه، إن هو بقى قاروني الطريقة في هذا الباب (إنما أوتيته على علم عندي)، تمام؟ بيقول أنا إيه؟ جايب المال بشقايا وعرق جبيني، ده أنا يعني طفحت الدم على ما ربيتك، ده أنا على اللي عملتك، لحم كتافك من خيري، هذا كله من ميراث أهل الجهل، هذا يُعد من كفران النعم أن تُنسب نِعم الله عز وجل إلى غيره، ولو لم يكن صنمًا ولو لم يكن حجرًا ولو لم يكن معبودًا باطلًا حتى لو نسبها الإنسان إلى نفسه كما قال مجاهد رضي الله تعالى عنه، هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن أبائي.

عون بن عبدالله من أئمة السلف يقول في المتن الكتاب: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا وكذا، يعني هنا دلوقتي من الذي يسر الأمر؟ الله عز وجل، من الذي إبتلى عباده؟ الله سبحانه وتعالى، من الذي هيأ هذه الأسباب للنجاة من الضائقة؟ الله عز وجل، بينسوا كل ده ويقولوا: لولا وقفة فلان معنا كان حصل وحصل، لولا فلان تدخل في اللحظة الأخيرة كان جرى وجرى، هذا كله من ميراث أهل الجهل عياذًا بالله، وأهل التوحيد ينبغي أن يتبرأوا من نسبة نِعم الله عز وجل إلى غيره ولو على هذا النحو.

تعالى نرجع لكلام الشارح الشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله وطيب ثراه، بيقول لنا: فذكر عن سفيان عن السُدي (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها)، قال محمد؛ يعني إيه قال محمد؟ قال السدي: نعمة الله في الآية محمد عليه السلام، (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها)، ده مين دول؟ اليهود، عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم حق معرفته، تمام؟ وتلوا كتاب الله عز وجل حق تلاوته، وعرفوا البيانات بوضوح جداً ومع ذلك لما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم بما لا تشتهيه الأنفس كفروا به وحاربوه وعاندوه صلى الله عليه وسلم.

كما قال قائلهم: والله إني لأعلم أن محمدًا رسول الله، أكثر من علمي أن ولدي من صلبي، فإن محمدًا قد بشرنا الله عز وجل به في كتابه، وأما ولدي لا أدري من أين جاءت به أمه، يعني في إحتمال أن إبنه من صلبه يبقى ابن حرام، وما فيش إحتمال إن النبي يبقى كذاب، عند اليهود، أدي معنى قول الله عز وجل: (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها)، السدي بيقول إيه بقى؟ نعمة الله هنا يعني محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة، سورة إيه؟ سورة النحل، سورة النحل لها إسم ثاني إسمه سورة النِعم، لكثرة ما عدد الله عز وجل من نعمة على خلقه من المسلمين وغير المسلمين ومن السابقين واللاحقين، وأن نِعم الله سبحانه وتعالى تتوالى على خلقه تترا، وبعد ما ربنا ذكر بقى من أول الآية لحد من أول السورة لحد الآية 83 كلها نِعم من نِعم الله، قال: يعرفون ما عدد الله في هذه السورة من النِعم، يعرفون أنه من عند الله وأن الله هو المنعم عليهم بذلك تعالى ذكره، ولكنهم ينكرون ذلك، ينكرون ذلك ينسبونه إلى غيرهم، ينكرون ذلك يكفرون شكره، يبقى نوعين من الإنكار ما حصلش، ربنا ما إدانيش حاجة، ده نوع من أنواع الإنكار، أي نعم ربنا إداني كل حاجة بس لولا فلان هو ما كنش حصل وما كنش حصل.

قال: ولكنهم ينكرون ذلك فيزعمون أنهم ورثوه عن أبائهم، وأخرج عن مجاهدٍ، مجاهد بن جبر في تفسير الآية (يعرفون نعمة ثم ينكرونها) قال: هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها، ما يرزقون منها من الإيه؟ من الأنعام، اللي هي الخصلان والعجاجيل اللي هي أبناء

الإبل، أولاد الإبل وأولاد البقر، والغنم ونحوها، يعرفون؛ قال هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها، يبقى الفصلان جمع فصيل، والعجاجيل جمع عجل وعجول على الزنتين يعني، وما يرزقون منها من الصوف والوبر واللبن ونحوها.

يبقى قال هي المساكن والأنعام ما يرزقون منها، والسرابيل من الحديد والثياب، السرابيل جمع السربال اللي هو شكل الثوب اللي بنقول عليه إحنا جلابية كده، لكن هو في العربية نقول عليه درع، تمام؟ الدرع للمرأة والقميص للرجل، الجلابية الحريمي اللي بتلبسها النساء إسمها درع، اللي بيلبسه الراجل إسمه ثوب أو قميص، فهنا بيقول إيه؟ والسرابيل من الحديد، تبقى دروع حديدية للقتال، والثياب سربال من قطن، سربال من حديد، ونحو ذلك، يعني ثوب مفصل على قدر البدن، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث يقول: (النائحة إذا لم تتب جاءت يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)، الدرع اللي هي الجلابية البيتي يعني أو العباية البيتي.

فهنا بيقول بقى: تعرف هذا كفار قريش ثم تنكره بأن تقول: هذا كان لأبائنا فورثناه إياه أو ورثونا إياه، وقال آخرون: معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم من رزقكم؟ أقروا بأن الله هو الذي يرزقهم، ثم ينكرونه بقوله: رزقنا ذلك بشفاعة ألهتنا، طب يبقى هنا ثم يكفرون على التفسير ده، (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) يبقى الكفر هنا إيه؟ فعلى التفسير ده، أكبر ولا أصغر؟ التفسير قدامنا قبل كده إحنا قاعدين من غير كتاب، كان عشان كده الدنيا الإرسال قاطع، طيب بنقول هنا: تفسير من تفاسير السلف في تفسير الآية (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون)، إحنا قلنا ممكن يكون الكفر أكبر وممكن يكون الكفر أصغر صح ولا لا؟ ممكن يكون الشرك أكبر وممكن يكون الشرك أصغر.

طيب هنا دلوقتي لما نقول في بعض التفاسير أن الكفار إذا قيل لهم من رزقكم؟ أقروا بأن الله هو الذي يرزقهم، ثم ينكرونه بقولهم: رزقنا ذلك بشفاعة ألهتنا، يبقى الكفر أكبر، في إدعاء الشفاعة للأنداد والشركاء من دون الله سبحانه وتعالى.

طب قول الرجل: لولا فلان لكان كذا وكذا؛ الكفر هنا أصغر، قول فلان هذا مالي ورثته عن أبائي، الكفر أكبر؟ لا أصغر، عشان كده أنا بقول لك: يبقى هنا خذ بالك، أنت هتأخذ تفاسير السلف وكل تفسير له توجيه، يبقى أنت خذت المثال ده يبقى ينطبق على معنى التكفير أو الكفر الأكبر، هتأخذ المثال ده يبقى على معنى الكفر الأصغر وهكذا، تمام؟

وذكر المصنف رحمه الله مثل هذا نقول يعني: عن ابن قتيبة رحمه الله، مين ابن قتيبة؟ هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضي مصر النحوي اللغوي، صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة، إشتغل ببغداد وسمع الحديث على إسحاق بن راهويه وطبقته، توفي سنة 276، وقال آخرون: ما ذكره المصنف

عن عون بن عبد الله عن عتبة بن مسعود الهذلي، عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبدالله الكوفي الزاهد عن أبيه وعائشة وابن عباس وعنه قتادة وأبو الزبير والزهري وثقه أحمد وابن معين قال البخاري: مات بعد 120، بيفسر بقى عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، بيفسر الآية: (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها)، قال: إنكارهم إياها: أن يقول الرجل لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا، أصبت بمعنى ربحت أو كسبت ونحو ذلك.

وإختار ابن جرير القول الأول وإختار غيره أن الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها، وهو الصواب والله تعالى أعلم.

يبقى إختيار ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسير الآية إيه؟ قدامك في الكتاب قل لي، لأ ابن جرير ما إختارش العموم، إيه الرأي الأول اللي هو إيه؟ الرأي الأول اللي هو أن يكون رئيس الدولة، لأ الأول اللي هو أن الكفار يقولون إيه؟ الله رزقنا، ثم يقولون: بشفاعة ألهتنا، يبقى ابن جرير الطبري يوجه الآية على الكفر الأكبر ولا الأصغر؟ الأكبر، والإمام ابن كثير تتبع ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى وقال: الآية عامة، عشان كده أنا إفتتحت الكلام بقوله أن كلمة نعمة الله مفرد مضاف يفيد العموم.

كذلك المفرد إذ يضاف   فأفهم هديت الرشد ما يضاف

يبقى الإية عامة ليه أخصصها؟ يقول لك: ما هو السلف خصصوها، لأ ده مش تخصيص ودي فائدة من الفوائد يمكن الناس اللي درسوا معنا أصول تفسير قبل كده بنقول: إن أكثر ما يُنقل عن السلف من الإختلاف في التفسير هو من باب خلاف أكمل؟ كلمة واحدة بس؛ من باب خلاف التنوع، تمام؟ يبقى الإية تشمل أكثر من معنى من معاني كفران النِعم، قد يصل إلى حد الكفر الأكبر، وقد يصل إلى حد الكفر الأصغر، حسب تفسير النعمة، لما قلنا النعمة هي محمد؛ يبقى كفران محمد كفر أكبر، لو قلنا النعمة هي الرزق وكفران الرزق هذا بشفاعة ألهتنا يبقى كفر أكبر، لو قلنا النعمة هي قول الرجل: لولا فلان لكان كذا وكذا هذا مالي ورثته عن أبائي يبقى الكفر كفر أصغر، يبقى الآية هنا التفسير الذي يفيد العموم أولى من التفسير بالخصوص، ودي من قواعد الترجيح بين المفسرين، إذا تعارض قولان عن السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أحدها يفيد العموم والأخر يفيد الخصوص.

ده إذا سلمنا أنه خاص، إذا سلمنا؛ الأول نخلص القصة إن ده تفسير حمل للآية على معنى دون غيره أو على الخصوص دون العموم، هنقول: إذا كان في خصوص وفي عموم؛ التفسير الذي يفيد العموم في الآية أولى من التفسير الذي يفيد الخصوص، تمام؟ ودي قاعدة مرتبطة، لما يبقى في قولين في تفسير آية هيبقى القول اللي بيساعد على عموم الآية أولى من القول اللي بيساعد على خصوص الآية إلا لمرجح أجنبي، تمام؟

لكن لو إحنا قلنا إن اللي بيحصل ده المنقول عن مجاهد والمنقول عن عون بن عبدالله وعن ابن قتيبة الدينوري واللي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بعد حديث خالد بن عبدالله، زيد بن خالد بن عفوًا زيد بن خالد الجهني وغيره إن ده أصلاً من باب ضرب المثال، يعني تفسير العام بأحد أفراده، يعني واحد أجنبي سمع كلمة ماء فعايز يستفهمني عن معنى ماء، أنا مش عارف أقول له اللي هي water يعني، فقال لي: ماء فرحت أنا رافع له الكوباية دي كده، دي ماء ولا مش ماء؟ فيها ماء أهي صح؟ هل كل ما في الدنيا هو ما في هذا الكون؟ ولا ده أحد أنواع المياه؟ أحد أنواع المياه، أنا سمعت كلمة منديل ورق يعني إيه؟ قمت ساحب منديل ورق وعامله كده، أنا ما بتكلمش هو بيسألني كلمة ماء مش عارف له لغة أقولها له، فبدي له ترجمة بالخرس زي ترجمة الخرس كده، أرفع له المنديل، يعني إيه تليفون؟ أقول

له ده، يعني إيه كتاب؟ أقول له ده، يعني إيه ثياب؟ أقول له دي، يعني إيه أذن؟ مش كل أذن في الدنيا هي أذني وكل ثوب في الدنيا هو ثوبي، وكل كتاب في الدنيا هو كتابي، لأ ده ده من باب تفسير اللفظ العام بأحد أفراده، وده كتير جداً في كلام السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

وبناءً عليه مش هلجأ للترجيح أصلًا، لأن الخلاف الواقع بين السلف من باب خلاف التنوع، وخلاف التنوع في ترجيح؟ ما فيهوش ترجيح، لأن كل الأقوال نسبتها إلى الشرع واحدة، كل الأقوال قوتها في الدلالة إلى صاحب الرسالة واحدة زي بعضها يبقى إيه أرجح من إيه؟ ما فيش إيه أرجح من إيه؟ إلا لو حصل بقى إن فيها قول هيديني عموم وقول هيديني خصوص، هنقول اللي بيدي العموم أولى مش أرجح بمعنى الترجيح اللي إحنا دارسينه في المسائل الفقهية وكده، تمام؟

فهنا بيقول: وإختار ابن جرير القول الأول، وإختار غيره ابن كثير بقى، أن الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها، وهو الصواب، والله تعالى أعلى وأعلم.

ثم قال: قال مجاهد: هو شيخ المفسرين رحمه الله الإمام الرباني مجاهد بن جبر المكي مولى بني مخزوم، قال الفضل بن ميمون: سمعت مجاهدًا يقول؛ عشان يعرفك مين مجاهد؟ عرضت المصحف على ابن عباس مرات، أقفه عند كل آية، وأسأله فيمن نزلت؟ كيف نزلت؟ كيف معناها؟ ثم كان يقول: ولو كنت أعلم أحدًا هو أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه، توفي رحمه الله سنة 102 وله 83 سنة، رحمه الله وطيب ثراه.

قوله: وقال أبو العباس إلى آخره، أبو العباس هنا ابن تيمية شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رحمه الله، الإمام الجليل رحمه الله، بعد حديث زيد بن خالد وقد تقدم في باب ما جاء بالإستسقاء بالنجوم، اللي هو الحديث؛ بيقول: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح على إثر سماء كانت من الليل، فقال: أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: قال الله عز وجل أو قال: قال ربكم: (أصبح من

عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب).

بعد الحديث ده بقى ذكره شيخ الإسلام في بعض مؤلفاته رحمه الله وفتاويه فقال بعد ما ذكره: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذُم الله سبحانه وتعالى من يضيف إنعامه إلى غيره، من يضيف إنعام الله إلى غير الله، ويشرك به الشرك الأكبر أو أصغر.

قال بعض السلف: هو كقولهم، مثال ثاني بقى كانت الريح طيبة والملاح حاذقًا، شبه إيه دلوقتي في المعاصر؟ الناس يبقوا راكبين في الطيارة أول ما الطيارة راح لامسة الأرض يروحوا مسقفين له كلهم يسقفوا، الناس بقت عادة غريبة جداً وأخذاها من الجماعة الخواجات، أول ما الطيارة تروح العجل لامس الأرض في المطار النزول، مش في مطار الطلوع، الطلوع بقى طالعين، طب هم نازلين أول ما يخلصوا الرحلة بالسلامة وتروح الطيارة، ركبتوا طيارة قبل كده؟ أول لما الطيارة تنزل على الأرض يروحوا عاكسين بلمسة العجلة يروحوا مسقفين، الرحلة خلصت بقى، دي زيها بالضبط، كانت الريح طيبة ريح السفينة اللي بتحركها، والملاح حاذقًا، مش الحمد لله، سلمى يا سلامة حتى رحنا وجينا بالسلامة، لأ ده هم بيقولوا الموضوع كله إن كان معنا كابتن كان كده وكانت الريح كانت جميلة، وكان معنا قبطان السفينة كان مش ربنا سبحانه وتعالى هو الذي حملنا وربنا هو الذي نجانا تمام؟

(إن يشأ يُسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره)، وريني بقى شطارة الملاح، وخذ بالك الكلام ده ما تقوليش ده أيام السفينة الشراع، لا والله أيام حتى الشفاطات والتوربينات وغيره، ما هو نظرية الشفط والطرد، مرتبطة بإيه؟ بأن الريح متحركة لو ربنا جعل الريح ساكنة زي العمود الخرسانة هات شفاط يشفط عمود الخرسانة ما هيشفطه إزاي؟ هات شفاط وإلزقه في الحيطة وخليه يشفط على آخره هيجيب منين؟ الحيطة ساكنة ما بتتحركش، فلولا أن الله جعل الريح متحركة لا كانت هتتشفط ولا هتنطرد، يبقى لا توربينات تنفع معها ولا شراع ينفع معها ولا بخاري ينفع معها ولا أي حاجة (إن يشأ يسكن الريح فيضللن)

تبقى زي حتة الخشب مرمية كده، و(يظللن رواكد) حتى ما بيتمرجحوش لأن لو الريح سكن الماء هيسكن، يبقى زي اللي حاططها بزجاجة كده وقافل عليها، أدي السفينة خلصت كده، بسكون الريح فقط، يعني ربنا مش هيبعتلهم حاجة تثنية الريح بطلي شغل إجازة النهاردة، قفي، تخرب كلها كل حركات الملاحة في العالم تقف، مينفعش مهو أنت هتسكن الريح الماء هيقف، مفيش موج خلاص إفضل في مكانك محبوس في الماء.

فهنا بيقول: كقولهم: كانت الريح طيبة والملاح حاذقًا ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثيرة.

وكلام شيخ الإسلام رحمه الله وطيب ثراه يدل على أن حُكم هذه الآية عام فيمن نسب النعم إلى غير الله الذي أنعم بها، وأسند أسبابه إلى غيره، أي وفي من أسند الأسباب إلى غير الله سبحانه وتعالى كما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه ها هنا.

قال شيخنا رحمه الله اللي هو صاحب الكتاب ابن عبدالوهاب رحمه الله: وفيه أي في الباب الباب اللي معنا ده، إجتماع الضدين في القلب، وتسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة، ما هو قال يعرفون ثم ينكرون، فإجتمع في القلب الواحد على اللسان الواحد معرفة وإنكار، إقرار وإكفار، تمام كده؟ والمعرفة ضد الإيه؟ ضد الإنكار، والإكفار ضد الإقرار، أو الشكران، تمام كده؟ أو الكفران ضد.

وطبعًا إحنا عرفنا إن من أصول أهل السنة والجماعة أنه يجتمع في الشخص الواحد إسلام وجاهلية، يجتمع في الشخص الواحد إسلام وجاهلية، يجتمع في الشخص الواحد توحيد وشرك، يجتمع في الشخص الواحد إيمان وكفر، يجتمع في الشخص الواحد سنة وبدعة، يجتمع في الشخص الواحد طاعة ومعصية، ولذلك يجتمع في الشخص الواحد ولاء وبراءة، دي أصل من الأصول؛ لا يوجد إلا عند أهل السنة، تمام؟ لأن أهل البدع يا إما يوالون الرجل من كل وجه، يا إما يعادونه من كل وجه، ما فيش رجل برة ورجل جوة، يا كل الإثنين جوة يا الإثنين برة، ما فيش عندهم كفر أكبر وكفر أصغر، يا كافر برة الملة خالص، يا مؤمن كامل الإيمان كإيمان جبريل وميكائيل وإن كان أفسق الأمة، تطرف، فأهل

السنة والجماعة بما أن الإيمان يزيد وينقص، وبما إن الإيمان أصل وكمال، إذًا الإيمان يتفاضل فيه أهله، إذا هيجتمع في الشخص الواحد إيمان من وجه وكفر من وجه.

هل يجتمع أصل الإيمان وأصل الكفر؟ لأ، أومال إيه اللي يجتمع؟ أصل الإيمان مع شعبة من شعب الكفر، أو أصل الكفر مع شعبة من شعب الإيمان، أما الأصلان فلا يجتمعان، أصل الجاهلية مع شعبة من شعب الإسلام، أصل الإسلام مع شعبة من شعب الجاهلية، أصل السنة مع شعبة من شعب البدعة، أصل البدعة مع شعبة من شعب السنة، أصل الطاعة مع شعبة من شعب المعصية والعكس بالعكس، إنما الأصول لا تجتمع، لأن أصل المعصية الكفر، وأصل البدعة الأصل الإبتداع الضخم أول حدث في الكون كان بسبب عبادة الأوثان، تمام كده؟

فالشاهد إن إحنا هنقول أصل كفر مع شعبة من شعب الإيمان؟ أه ماشي، نجد الإنسان كافر كفر أكبر، وعنده شعب إيمان بر بالوالدين وفاء بالوعد حسن للعشرة، يعني الإقرار بالجميل، الإنسان بيرحم الحيوان ويرحم المريض، بينفق للفقراء والمساكين، فيه كافر بيعمل كده؟ أه، وده إيه في الآخر؟ (وقَدِمْنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا)، لا يجزون بأعمالهم في الآخرة وإنما يجزون بأعمالهم في الدنيا، (فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره) مسلم أو كافر، في الدنيا مسلم أو كافر، في الآخرة مسلم بس، تمام؟

يبقى هنا قال: يجتمع في الشخص الواحد الضدان أو كان يجتمع الضدان في القلب، وقلنا أصل الجاهلية مع شعبة من شعب الإسلام أو العكس، أصل الإسلام مع شعبة من شعب الجاهلية، كما قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حينما سب بلالًا وعيره بأمه قال: (إنك أمرؤ فيك جاهلية)، مش زي جاهلية أبو لهب، مش زي جاهلية أبو جهل، لا جاهلية الأخلاق، اللي هي الكبر والأنفة، وإحتقار الناس، ما هو قال له: يا ابن السوداء، قال: (عيرته بأمه، إنك إمرؤ فيك جاهلية)، أهي لما يقول له: يا ابن السوداء دي لوحدها سلوك جاهلي، بس طبعاً الجاهلية تساوي جاهلية عبادة الأوثان؟ لا.

وطبعًا هنا قلنا من الألفاظ ونبهنا على ده كثير قبل كده، إن من الألفاظ المشكلة في المصطلح القرآني والمصطلح النبوي وكلام السلف، مصطلح الجاهلية عند المتأخرين، الخط القطبي محمد قطب وسيد قطب إلى آخره، عامل كتاب محمد قطب جاهلية القرن العشرين، فطبعًا الموجة بتحدف على طول على جاهلية الجاهلية الكبرى اللي هي المروق من الدين والإرتداد عن الإسلام لحد ما يصرح بقوة، ويقول: وقد إرتدت البشرية في هذا العصر الذي نحن فيه إلى أفحش من الجاهلية الأولى وأردأ، طب الجاهلية الأولى كانت إيه؟ كفر أكبر، ده كفر أكبر وحتة كمان مطببين بها الميزان يعني كفر أكبر ونص مش كفر أكبر وخلاص، قد إرتدت البشرية الآن في عصرنا الحالي إلى شر أو أسوأ من الجاهلية الأولى، فكده بينظر للمجتمعات أنها مجتمعات مرتدة، عشان مصطلح الجاهلية لم يحرر، إنما لما نعرف إن في جاهلية لها أصل ولها شُعب زي ما الإيمان له أصل وله شُعب، وزي ما الكفر له أصل وشُعب، والشرك له أصل وشُعب، إنحل الإشكال ولا يتأتى هذا إلا على قواعد منهج أهل السنة والجماعة.

الباب اللي بعد كده؛ باب قول الله عز وجل: (فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون).

وإستدل بقول ابن عباس الله عنهما في الآية قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول أو أن نقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كُليبة هذا لأتانا اللصوص، لولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا هذا كله به شرك، رواه ابن أبي حاتم رحمه الله.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)، رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم رحمه الله، وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كذبًا، أحب إلّي من أن أحلف بغيره صادقًا.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وما شاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان) رواه أبو داوود بسند صحيح

وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: أعوذ بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقول: لولا الله وفلان.

ثم قال الإمام رحمه الله فيه مسائل:

الأول: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تَعُم الأصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقًا فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين الواو وثم في هذه الألفاظ، طبعاً مش في كل الألفاظ وعندما يأتي الكلام عليها نحررها.

تعالى نشوف كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في بيان جُمل الباب ومفرداته ومسائله، قال: قوله: باب قول الله تعالى: (فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون)، قال: الند: المثل، والنظير، وجَعَلَ الند لله أو جَعْلُ الند لله، يعني إيه أجعل لله ندًا؟ قال: هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله، ولذلك النبي فسر الشرك بكده، لما قالوا له: يا رسول الله ما الشرك؟ قال: (أن تجعل لله ندًا وهو خلقك)، وإحنا قلنا الندية دي اللي هي الإنسان يتخذ نديدًا أو ندًا مع الله عز وجل يعني شريكًا مخالفًا، يعني هو حقوق ربنا هتروح لغير ربنا، حقوق ربنا إلهية وربوبية وخصائص أسماء وصفات، مش دي معاني التوحيد الثلاثة؟ توحيد الربوبية، ودي من خصائص الرب جل وعلا، توحيد الألوهية وده إستحقاق لصرف العبادة ظاهرة وباطنة، الأسماء والصفات وهي خصوصيات الرب جل وعلا، فمن الناس من يجعل لله ندًا في ربوبيته، ومن الناس من يجعل لله ندًا في ألوهيته، ومن الناس من يجعل لله ندًا في أسمائه وصفاته، هي خصائص أسماء الله وخصائص صفات الله جل وعلا.

فهنا بيقول لي بقى تفسير الند بأحد أفراده برضو، ده كلامه هو، بيقول: والند أو جعل الند لله هو صرف أنواع العبادة أو صرف شيء منها لغير الله، هي دي كل صور الندية ولا بعضها؟ دي ندية في الإيه؟ في الألوهية أحسنت.

قال: كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفع ويدفع، هي ينفع ويدفع دي إيه ألوهية ولا الربوبية؟ ما هو إحنا دايمًا بنقول: إعتقاد الربوبية هو الأساس للألوهية سواء في التوحيد أو في الشرك، يعني كونك إنك بتعتقد أن الله عز وجل هو (رب الناس * ملك الناس) هتبقى النتيجة (إله الناس) على طول، (قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس)، ولا قل أعوذ بإله الناس في الأول؟ (قل أعوذ برب الناس * ملك الناس) هتسلمني على طول لـ(إله الناس) هي أساس وبناء، أساس ونتيجة، تمام؟ في الشرك نفس المسألة إعتقد النفع والضر اللي هو خصائص الربوبية في غير الله، هيروح على طول متقرب بالسجود والركوع والذبح والنذر، ما هو كل أساس وله بناء، كل مقدمة ولها نتيجة، صح ولا إيه؟

فهنا بيقول: كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم، وهذه الآية في سياق قول الله تعالى: (يا أيها الناس إعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناء وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون).

قال العماد بن كثير رحمه الله؛ عماد الدين بن كثير، فيلقب بالعماد بس، قال العماد بن كثير رحمه الله في تفسيره، قال أبو العالية: (لا تجعلوا لله أندادًا) أي عدلاء، شركاء، العدلاء جمع عدل، تمام كده؟ اللي هو النظير المساوي، تمام؟ (لا تجعلوا لله أندادًا) أي عدلاء شركاء، وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدي وأبو مالك وإسماعيل بن أبي خالد.

وقال ابن عباس في تفسير الآية (فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون)، قال: أي لا تشركوا بالله شيئا من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه ربكم لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم الرسول إليه من توحيده هو الحق الذي لا شك، وكذلك

قال قتادة، وعن قتادة ومجاهد قالا: (لا تجعلوا لله أندادًا)، قال: أكفاءً من الرجال تطيعونه في معصية الله، يعني تجعلون حقهم في الطاعة كحق الله في الطاعة سواءً بسواء، فكما أن حق الله أن يطاع فلا يعصى، إجعلوا من بعض الأنداد يطاعون فلا يعصون، تمام؟

يقول: وقال ابن زيد: الأنداد هي الألهة التي جعلوا لها مثل ما جعلوا له، جعلوا لها من العبادة مثل ما جعلوا له من العبادة، تمام؟ لما هم بيقسموا الحرث والأنعام بيقولوا: (هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا)، بيقول لك: إحنا ما بنحبش نظلم حد، ربنا يأخذ حقه وهُبل يأخذ حقه، كسر حقك أنت وهو، تمام؟ أنت إزاي حطيته في موازنة مع ربنا أساسًا يعني؟ بيقول: هو ده مقتضى العدل، أهو ده عدل أبو جهل وعدل أبو لهب، إن هو يسوون غير الله عز وجل بالله في إستحقاق العبادة، قال هل هو ده العدل يعني؟!

طيب بيقول: يبقى هنا الأنداد هي الألهة التي جعلوا لها مثل ما جعلوا له سبحانه، وعن ابن عباس قال في تفسير الآية (لا تجعلوا لله أندادًا)؛ قال: أشباهًا، وقال مجاهد؛ طب أشباهاً دي هتخش بأنهي باب من أبواب التوحيد؟ الأسماء والصفات وتؤول إلى الربوبية والألوهية برضو، لأن التوحيد زي ما إحنا عارفينه وإحنا الكلام ده إحنا بنراجع معلومات قديمة جداً بقي لها يعني عشرات الحلقات، بنقول دلوقتي إن هنا الإيه؟ نعم، إن التوحيد النظري قاعدة وأساس لبناء التوحيد العملي، التوحيد النظري التوحيد العلمي التوحيد الخبري، اللي هو معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وربوبيته وما يستحقه وما يجوز له وما يمتنع عليه كما يقول بعض المتأخرين يعني، تمام؟

التوحيد العملي: إن أنت تشتغل بقى بناءً على النظرية دي، ما هو التأهيل قبل التشغيل، المدارسة قبل الممارسة، أنت بتدرس التوحيد وبعدين تعيشه يعني تطبقه، عشان لما تيجي تسجد؛ تسجد صح، لما تيجي تعبد؛ تعبد صح، لما تيجي تذبح؛ تذبح صح، لما تيجي تدعو؛ تدعو صح، لما تيجي تذكر؛ تذكر صح، أنت بتنطلق من قاعدة، قاعدة الإيه؟ القاعدة العلمية الخبرية، قاعدة الإيه؟ القاعدة التوحيد النظري.

قال مجاهد: (لا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون)، قال: وأنتم تعلمون أنه إله واحد، في التوراة والإنجيل، وذكر حديثًا في معنى هذه الآية الكريمة وهو ما خرجه صاحب المسند الإمام أحمد رحمه الله وطيب ثراه، عن الحارث الأشعري إن نبي الله قال: (إن الله أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات)، فاكره أنت الحديث ده من زمان قوي صح؟ كان في خطبة أول خطبة عيد، إن الله امر يحيى بن زكريا)، -سنة كم يا عمر؟ إثنين وعشرين سنة عجزنا يا عمدة أنا وأنت- (إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وأنه كاد إن يبطئ بها، فقال له عيسى عليه السلام: إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن وأن تأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن، فقال: يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أُعذب أو أن يُخسف بي، قال: فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس، حتى إمتلأ المسجد وقُعد على الشُرَف) الشُرَف جمع شرفة، المسجد إتملى على الأخر الناس بقوا قاعدين في الشبابيك، في الأماكن المرتفعة والطاقات اللي هي مفتوحة، (حتى قُعد على الشُرَف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات، أن أعمل بهن وأن أمركم أن تعملوا بهن أولهن أو أولاهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، فإن مَثَل ذلك مثل الشرك، فإن مثل ذلك كمثل رجل إشترى عبدًا من خالص ماله، بذهب أو ورِق، فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده)، العبد يشتغل في مال سيده؛ النتيجة اللي تطلع يأديها إلى غير سيده، (فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟) مين اللي يرضاها لنفسه دي؟ بيبقى عندك عبد من حر مالك وبيشتغل في مالك برضه، ده في رواية أخرى قال: (هذا ماله وهذه داري فإعمل وأدي إليَ)، (فجعل هذا العبد يعمل في مال سيده ويؤدي غلته إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فإعبدوه ولا تشركوا به شيئًا).

قال: (وأمركم بالصلاة فإن الله ينصِب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك)، وده دليل ظاهر على أن المسيح عليه السلام وعيسى المسيح عيسى عليه السلام ويحيى بن زكريا وزكريا وأنبياء بني إسرائيل، كان عندهم صيام من اللي بيعمل خلوف،

اللي بيخلي ريحة من البوق وحشة، وده ناتج عن الجوع والعطش يعني مش الصيام إياه اللي هم عاملينه ده؟ صيام زي اللي ربنا شرعه لكل نبي.

(وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأمركم بالصدقة فإن مَثَل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فشدوا يدي إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي بالقليل والكثير حتى فك نفسه، وأمركم بذكر الله كثيرًا، فإن مَثَل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سرَاعًا في أثره فأتى حصنًا حصينًا فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل)، يا طالب التوحيد اين حصنك من الشيطان؟ يا دارس العقيدة عيد النظر بتاعك أهو فين بقى التطبيق العملي؟ الذكر بيشغل من حياتك إيه كم ساعة؟ كم دقيقة في الساعة؟ كم ساعة في اليوم؟ كم يوم في الأسبوع؟ كم أسبوع في الشهر؟ كم شهر في السنة؟ الذكر شاغل من حيز حياتك قد إيه؟ رغم إنه عبادة سهلة جداً ما بيكلفكش أي حاجة.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على أحيانه كلها وهو جُنب، كان يذكر ربه عز وجل، كان عبدالله بن عباس يقرأ ورده من القرآن وهو جُنب، ما لكش حجة، كان يذكر الله قائمًا وقاعدًا وماشيًا ومضجعًا في الحرب والسلم، في الصحة والمرض، في الحظر والسفر، في الرضا والغضب، كان ذكَّارًا لله شكَّارًا صلوات الله عليه، فأنت بقى على قدر ولائك للنبي محمد صلى الله عليه وسلم على قدر إيه؟ يعني إجتهادك في ذكر الله عز وجل، عبادة سهلة للغاية، للغاية، كلما تطرق الكسل والفتور والإحباط إلى قلبك إدفعه بالذكر، (ما عَمِل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله)، كما قال معاذ رضي الله عنه وأرضاه، (ما عمل أدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله)، ما فيش حاجة هتعملها أبدًا تنجيك من عذاب ربنا زي الذكر، سهل جداً مش محتاج منك أي حاجة، لا محتاج ستر عورة ولا وضوء ولا إستقبال قبلة ولا فلوس ولا توقيت ولا فيه كراهة ولا فيه ممنوعات إذكر الله على أحيانك كلها.

أثر ذكره الإمام القرطبي رحمه الله تعالى لما موسى عليه السلام أمره ربه عز وجل أن يذكره على كل حين، قال: (يا ربي هناك أوقات أستحي أن أذكرك فيها)، قال: (يا موسى إذكرني على أحوالك كلها).

في بعض الروايات يقولوها على وقت الحاجة على وقت، قال: (إذكرني على أحوالك كلها)، ما لكش حجة، يعني ما لكش حجة، واضح الأمر؟

وإن كان يعني التحقيق إن هو يكره ذكر الله حال التخلي وقضاء الحاجة أو كشف العورة وخصوصًا المغلظة يعني، وأولى أن الإنسان لا يذكر ربه إلا إذا كان سيأتي أهله سيقضي حاجته غير كده ما يزودش عن الذكر.

فهنا بيقول: (وأمركم بذكر الله كثيرًا فإن مَثَل ذلك كمثل رجل تبعه العدو، طلبه العدو سرَاعا في أثره، فاتى حصنًا حصينًا فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله؟) قال: وقال رسول الله: (وأنا أمركم بخمسٍ الله أمرني أن اعمل بهن: أمركم بالجماعة والسمع والطاعة والجهاد والهجرة، فإنه من خرج من الجماعة قِيدَ شبر) مش قَيدَ قِيدَ، (فإنه من خرج من الجماعة قِيدَ شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)، الجماعة اللي هي إيه؟ داعش ولا جماعة الإخوان؟ لا الجماعة جماعة الإسلام كلها، خرج من الجماعة قيد شبر يعني ساب الإسلام وإتنصر، ساب الإسلام وتهود ولا بقى ملحد ولا مجوسي، أدي معنى فارق الإيه؟ (خرج من الجماعة) جماعة أهل الإسلام ملة الإسلام والقرآن، من خرج منها قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه (إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جُثى جهنم أو جِثِي جهنم)، قالوا: يا رسول الله، وإن صام وصلى أو إن صلى وصام؟ قال: (وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فإدعوا المسلمين بأسمائهم التي سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله)، قال: وهذا حديث حسن، والشاهد منه في هذه الآية قوله: (إن الله خلقكم ورزقكم فإعبدوه ولا تشركوا به شيئا)، وهذه الآية دالة على توحيد الله بالعبادة وحده لا شريك له، وقد إستدل بها كثير من المفسرين على وجود الصانع سبحانه، وهي دالة على ذلك بطريق الأولى.

والآيات الدالة على هذا المقام في القرآن كثيرة جدًا، وسئل أبو نواس الشاعر المعروف عن ذلك فأنشد:

تأمل في نبات الأرض وإنظر إلى آثـــار ما صنع المليك
عيون من لُجين ناظـــراتٌ بأحباقٍ هي الذهب السبيك
على قُضب الزبرجد شاهداتٌ بأن الله ليـــــس له شريك

وقال ابن المعتز:

فيا عجبًا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

قوله: قال ابن عباس: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، زي وحياتك لا تأخد وحياتك وحياة الحاج وحياة الحاجة إلى آخره، ورأس أبويا وشبكة العشرة والعيش والملح، الألفاظ الشركية التي يتعاطاها الناس، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، لولا البط في الدار لأتنا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت.

قال: بَيَن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذا كله من الشرك، طبعاً الشرك اللفظي، الشرك الأصغر مش من الشرك يعني اللي هيقوله يبقى كافر مرتد، لأ لكنه أتى ذنبًا من كبار الذنوب.

قال: وهو الواقع اليوم على ألسن كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك، لا يعرف التوحيد حق معرفته، ولا يعرف الشرك حق معرفته، فتنبه لهذه الأمور فإنها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه والتغليظ فيه لكونه من أكبر الكبائر، وهذا من ابن عباس رضي الله عنهما تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى.

(فلا تجعلوا لله أنداداً) يعني شركاء، ولو كان الفعل أو القول اللي أنت بتعمله مجرد ذريعة، لإتخاذ ذلك الغير ندًا وليس ندًا بالتحقيق، يعني أنت كأنك بتحوم حول الحمى، ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر وليست شركًا أكبر.

قوله: قال عمر بن الخطاب عن رسول الله: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)، قوله: فقد كفر أو أشرك يحتمل أن يكون شكًا من الراوي، ويحتمل إن تكون أو بمعنى الواو، فقد كفر وأشرك، فيكون كفر، تمام؟ ويكون هذا الكفر من الكفر الذي هو دون كفر الأكبر، كما هو من الشرك الأصغر، وورد مثل هذا عن ابن مسعود بهذا اللفظ.

وبعد كده ساق كلام ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه قائلاً: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن احلف بغيره صدقا، طبعاً ما حدش يقول إن ابن عباس بيستبيح الحلف بغير الله أو بالله كذبًا، لأ حاشاه هو بيوازن بين شر وإيه؟ وشر منهم، بيقول يعني الحلف بالله كاذبًا معصية، والحلف بغير الله ولو صادقًا شرك، ولما نيجي نوازن أيهما شر؟

فهنا بيقول المعلوم أن الحلف بالله كاذبًا كبيرة من الكبائر، لكن الشرك أكبر من الكبائر، وإن كان أصغر، فهمتم إحنا بنقسم الشرك أكبر وأصغر ليه؟ لأن أعظم الذنب على الإطلاق الشرك، أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، بعديه على طول كل الذرائع المفظية إلى الشرك، بعديه بقى رص القتل والزنا والكذب بعد كده، لكن هنا القائمة كده؛ الشرك الأكبر، الشرك الأصغر، الشرك الأكبر الذرائع المفضية إليه، وبعد كده رص الذنوب اللي بعد كده، فمش معنى إن إحنا بنقول إن ده شرك أصغر يعني حاجة رفيعة كده، عديها يعني كذبة بيضاء يعني، لأ شرك أصغر ده ذنب كبير من أكبر الكبائر، بل هو أكبرها تحت الكفر الأكبر على طول، أو تحت الشرك الأكبر.

قال: فإن كان أو فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر، فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار؟ كدعوة غير لله والإستغاثة به، والرغبة إليه، وإنزال حوائجه به، حوائج الإنسان يعني، كما هو حال الأكثر من هذه الأمة في هذه الأزمان وما قبلها من تعظيم القبور، وإتخاذها أوثانًا، والبناء عليها وإتخاذها مساجد، وبناء المشاهد بإسم الميت لعبادة من بُنِيت

بإسمه وتعظيمه، والإقبال عليه بالقلوب والأقوال والأعمال، وقد عَظُمت البلوى بهذا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله وتركوا ما دل عليه القرآن العظيم من النهي عن ذلك الشرك وما يوصل إليه؟

لكن في العبارة إجمال يفضي إلى إشكال، الأمثلة اللي ضربها مش كلها كفر أكبر، الأمثلة اللي ضربها مش كلها شرك أكبر، هو قال أيه؟ كدعوة غير الله، الإنسان يدعو غير الله بجلب نفع أو دفع ضرر، شرك إيه؟ أكبر، تمام؟ الإستغاثة به؛ أكبر، الرغبة إليه؛ أكبر، إنزال حوائجه؛ أكبر، تمام؟ تعظيم القبور وإتخاذها أوثانًا؛ أكبر، البناء عليها مخالفة معصية قد تكون حرامًا وقد تكون مكروهًا على إختلاف مذاهب أهل العلم، بناء قبور الموتى ورفعها، تمام؟ إما أن يكون حرام على ظاهر النهي وإما أن يكون مكروه، عندما مذاهب بعض أهل العلم، ده ما هوش شرك أصلاً، لكن قد يكون ذريعة إلى ذلك، بناء إيه؟ بناء القبر نفسه، تمام؟

بيقول: وإتخاذها مساجد برضو دي معصية، وذريعة ليست كفرًا أكبر، تمام كده؟ وبناء المشاهد بإسم الميت لعبادة من بُنيت بإسمه، طب هيكون لبناء مشهد يفضي إلى العبادة قطعًا؟ لأ غالبًا، تمام؟ فقد يُفضي أفضاءً صحيحاً وقد لا يصل يتمادى به الزمان وما يحصلش، فعشان كده سُمي ذريعة مش شرك أكبر، يعني عشان نفرق الكلام، بيقول: والبناء عليها وإتخاذها مساجد وبناء المشاهد، والإقبال عليها بالقلوب والأقوال والأعمال، لأ مش كل إقبال بالقول بالقلب والعمل يبقى كفر أكبر، فيه وفيه حسب اللي جوه الإنسان حال إقباله على هذه القبور، وقد عَظُمت البلوى بهذا الشرك إلى آخر ما قال: هذا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، لا مش كل المسائل كده، هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، عمت به البلوى فعلاً، لكن مش كل المفردات دي بتساوي النتيجة دي، عشان نأخذ بالنا.

ثم ذكر قول الله عز وجل: (فمن أظلم ممن إفترى على الله كذبًا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين)، كَفَرهم الله تعالى بدعوتهم من كانوا

يدعونه من دونه في دار الدنيا، وقد قال تعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) هنا (لا تدعو مع الله أحدًا) إي لا تعبدوا مع الله أحدًا، لأن الدعاء هنا من أحد مفردات العبادة.

طيب نقف كده لحد ما إن شاء الله ننتهي من الاذان ونكمل بإذن الله.

ذكر المصنف رحمه الله في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد يعني حول الآيات والأحاديث أو معلقًا على الآيات والأحاديث التي أوردها المصنف صاحب الأصل قال: وهؤلاء المشركون عكسوا الأمر فخالفوا ما بلغه الرسول الأمة وأخبر به عن نفسه، فعاملوه بما نهاهم عنه من الشرك بالله والتعلق على غير الله.

الشيخ حافظ بن أحمد حكمي في منظومته يقول:

ومن على القبر سراجًا أوقدا   أو إبتنى على الضريح مسجداً

فإنه مجدد جهارًا   لسنن اليهود والنصارى

كم حذر المختار عن ذا ولعن   فاعله كما روى أهل السنن

بل قد نهى عن إرتفاع القبر   وأن يُزاد فيه فوق شبر

وحذر الأمة عن إطرائه   فجرهم إبليس باستجرائه

فإنظر إليهم قد غلوا وزادوا   ورفعوا بناءها وشادوا

بالشيد والأجر والأحجار   لا سيما في هذه الأعصار

وإفتتنوا بالأعظم الرفات   وإتخذوا الأعلام والرايات

بل نحروا في صوحها النحائر   فعل أولى التسيب والبحائر

فليت شعري من أباح ذلك   وأورد الأمة في المهالك

فيا شديد الطول والإنعام   إليك نشكو محنة الإسلام

كما قال رحمه الله عز وجل، الشاهد إن إفتتان الناس بالموتى وإفتتان الناس بالقبور بلاء يعني عم في أرجاء كثيرة من بلاد المسلمين، وعلى طالب التوحيد أن يكون مخلصًا لله عز وجل في دعوة أهله، يعني من يثقون به ومن يكونون حوله، يعني إلى التخلص من هذا المظهر العجيب المخيف من الشرك بالله عز وجل.

هنا بينقل بقى مظاهر الغلو في شعر بعض إيه؟ قبورية الصوفية حتى قال صاحب بردتهم:

يَا أَكْرَمَ الخَلقِ مَا لي مَن أَلُوذُ به   سِواكَ عند حُلولِ الحَادِثِ العَمِمِ

إنْ لَمْ يَكُنْ في مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي   فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدمِ

فإنَّ مِن جُودِك الدُّنيا وضَرَّتها   ومِن عُلومِك عِلمَ اللَّوحِ والقَلَمِ

طبعاً غلو شديد، لما تيجي بقى تزنق الجماعة الصوفية عُباد الموتى والقبور وهذا الغلو في شخص النبي الكريم صلوات الله عليه، يقول لك: الله! هو إنتوا حملتوها على إنه ينفع ويضر، يعني يشفي المرضى ويحيي الموتى، ما قلتش كده، أنا بقول: يا أكرم الخلق، هو النبي مش أكرم الخلق؟ أه، ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العدم، إن لم تكن في معادي، أنا بتكلم على القيامة، الناس يوم القيامة بيروحوا لسيدنا آدم؛ بيقولوا: يا آدم ألا تنظر ما قد بلغنا مما نحن فيه؟ يا نوح يا إبراهيم يا موسى يا عيسى؟ مش هم بيعملوا كده؟ أنا بحكي المشهد بتاع الآخرة، وإن أنا هروح أقول للنبي: ألحقني أشفع لنا عند ربك، وهيقول: يعني أمتي أمتي، ده اللي أنا قصدي، طب أنت قصدك إيه بقى فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم؟ يعني تعدلها أنهي ناحية دي؟ هو مش هيغلب حقيقي يعني، لما تسأله هو طبعاً ما يقصدش كده، هو يقصد فعلًا هنا نفع النبي للأمة بالإحياء والإماتة وشفاء المرضى ورد الغائب، لكن لما بيتزنق في مناقشة بيمشيها إيه؟ بيمشيها شرع يعني، على أما يعدي من الأزمة بس.

لكن إحنا بنقول خطورة ما في هذا الكلام، كان هذا الكلام بهذا العرض الصعب، وفيه أصعب منه طبعاً للغاية القصوى، فيه حاجات غلو طافح، في شعر هؤلاء الإيه؟ فلاسفة

الصوفية والجماعة دول، شعر مغرق في الضلالة يعني، فبنقول بإختصار شديد: إن كان هذا الشعر وهذا الكلام بهذا الإلحاد البين كواضحة النهار يقبل التأويل خلاص إقبلوا تأويل النصارى بقى في التثليث، وإقبلوا تأويل الملاحدة في الإلحاد، وإقبلوا تأويل الوثنيين في عبادة الموتى وخلاص، طالما يبقى تأويل قصاد تأويل وتعدوها كده، ولذلك تجد أهل الأهواء والبدع يعني يتعشقون التأويل تعشقاً، هو يديهم ورجليهم روحهم.

ولذلك يقول لك: الفلاسفة المعتزلة عفوًا عملوا في الإسلام مِنة عظيمة جداً إن هم فتحوا باب التأويل على مصراعيه، قول اللي أنت عايزه لما تتزنق قول كلام اللي هو عايزه وخلاص تخلص المسألة، فطبعًا ده ضلال مبين عياذًا بالله، وإلا فأنبياء الله سبحانه وتعالى حسموا هذه المادة وأغلقوا بابها تمامًا، إتكلم كلام عدل كده أهو كلمة فصل حق بين وإيه؟ باطل بين وتنتهي المسألة، إنما نقعد نقول كلام مظلم كفر يركب بعضه بعضًا ولما أزنقك تقول: أصل أنا ما أقصدش، أصل أنت أخذتني على الحامي، طب بس إشتري مني، ده أنا أقصد كلام من غير الكلام، طب ما هو النصارى هيقصدوا كلام من غير كلام، وأنت لو قعدت مع واحد نصراني عشان يشرحلك قانون الإيمان المسيحي ولا نظرية التثليث عندهم هيغلب في الرد إتكلم بالساعات الطوال لكن هل هذا يشفع له في هذا الكفر البين؟ أبدًا، تمام؟

فيا تفتح الباب للكل بقى وتبقى توصل في الآخر للحلول والإتحاد، إن كله جاي رايح منه له وتبقى كله على كله وتمشي في أي حتة، ويبقى عابد الوثن مصيب، وعابد الصليب مصيب، وعابد الغزلان وراهب الوديان، كله شكل بعضه، وده اللي إنتهى إليه فلاسفة الصوفية، تمام؟ كل حاجة عنده زي بعضها، هم دول إنتهوا في الآخر إلى إيه؟ مسألة إسمها وحدة الحقيقة، كل حاجة صح، كل شيء وضده ونقيضه صح، مائة بالمائة ما فيش ذرة فرق بين الشيء ونقيضه، إن أنت أما تكبر هتعرف الموضوع ده، هتلاقي كل حاجة منفذة على كل حاجة وما فيش حواجز وأنتم اللي مكبرين الموضوع، فطبعًا كلام غارق وهم بيصرحوا بالكلام ده بكل قوة يعني، تمام؟ فهنا نقول إيه بقى؟ بيقول: فانظر إلى هذا الجهل العظيم الذي تجاوز الحد في الإطراء الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم بقوله: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله) رواه مالك وغيره.

وقال تعالى: (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك)، فإنظر إلى هذه المعارضة، فإنظر إلى هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسنة، والمحادة لله ورسوله وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو الذي في نفوس كثير، ده بيعبر عن إيه؟ بيعبر عن معتقدات ظاهرة في صدور الناس.

يقول: وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو الذي في نفوس كثير خصوصًا ممن يدعون العلم والمعرفة للأسف الشديد، يعني لما تقعد مع ناس من بتوع قسم العقيدة والفلسفة، سواء بقى في الخط الصوفي ولا في الخط الفلسفي الحقيقي، تسمع كلام تقف له شعور بني آدم، تمام؟ وتقشعر منه الأبدان، يقول لك: أنت واخذها على الحامي ليه بس مش تشتري مني؟ أصل الكلام مش زي ما أنت شايفه كده، أنت بس عشان عقلك لسة قد كده أهو، أما تكبر هتعرف إن بحر الكلام واسع، ونقول الكلام ونؤكد ونحكي وتلاقينا كلنا عدينا بر الأمان أهو؛ وسلمى يا سلامة رحنا وجينا بالسلامة، أصل أنت ما بتعرفش تعوم خليك ناصح كده وعدي كده وخليك لين، لين يعني إقبل الكفر، إذا كان هذا الكلام ليس كفرًا فليس في العالم كفر، يقول لك: ما هو ده بقى اللي عايزين نقول لك عليه، ما فيش كفر أصلاً أنت يعني القصة كلها ما فيش أساساً كفر، وكله على كله، تمام؟

لما يقول: بكل بساطة كده أنا الرب والرب أنا، نحن روحان حللنا بدنًا، تمام؟ هي كانت أصلاً أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنًا، يعني أنا وحبيبي روحان في زكيبة، وتمشي على كده، إنما أنا الرب أنا الرب والرب أنا، نحن روحان حللنا بدنًا؟ يقولك: الله! هو قالك ربنا يعني؟ تمام؟ ما هو سيدنا يوسف قال: (إذكرني عند ربك)، اللي هو الملك يعني، مش مكتوب في بطاقة أمك ربة منزل؟ يعني أمك هي اللي خلقت المنزل، ما تحبكوهاش كده، ما تبقوش ناشفين كده، الله! يعني أنت تقول الرب والخلق وأنا اللي ناشفين كده، أومال فين الكفر؟ هو أنت عايز كفر ليه؟ ما فيش كفر، ما فيش؛ الدنيا حلوة الناس كلها زي الورد ما فيش كفر أصلًا، أنت عامل حرب خيالية، ما فيش حاجة من دي، إستهدم كل اللي أنت سمعته في القرآن وكل اللي نزل به الآيات الرحمن عياذًا بالله.

يقول: طيب بيقول إيه بقى؟ فإنظر إلى هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسنة والمحاداة لله ورسوله، وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو والذي في نفوس كثيرٍ، خصوصًا ممن يدعون العلم والمعرفة، ورأوا قراءة هذه المنظومة ونحوها وتعظيمها من القربات، قراءتها لذلك يعني لهذا المعنى الإستغاثة وإستنظار الفرج، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

قوله: عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان)، وده أثر صحيح عنه رضي الله عنه وأرضاه.

قال: ولا إيه بقى ليه ما تقولش ما شاء الله وفلان وتقول ما شاء الله ثم شاء فلان؟ إيه الفرق؟ قال: وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساوياً للمعطوف عليه، تمام؟ لكونها إنما وُضعت لمطلق الجمع، لكونها أي الواو وُضعت لمطلق الجمع، فلا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا، وتسوية المخلوق بالخالق شرك إن كان في الأصغر مثل هذا فهو أصغر، وإن كان في الأكبر فهو أكبر، كما قال تعالى عنهم في الدار الاخرة (تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين)، بخلاف المعطوف بثم فإن المعطوف بها يكون متراخيًا عن المعطوف عليه بمهلة، فلا محظور لكونه صار تابعًا.

بيذكر أثر بقى اللي هو في آخر أيه؟ آثار الباب، قال: وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يُكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، هنا بيقول: قد تقدم الفرق بين ما يجوز وما لا يجوز من ذلك وهو أو هذا إنما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء، يجوز الإستغاثة بالحي الحاضر الذي له قدرة، وسبب في الشيء، ده ممكن يكون حي وحاضر وعاجز، صح؟ يعني واحد بيقول لطفل صغير مثلًا إحملني إلى السلم في الطوابق العليا، الطفل الصغير هيشيل رجل كبير إزاي؟ ما ينفعش، تمام؟ فضلاً إني أقول لإنسان: إشفني من مرضي من غير مداوة ولا تطبيب ولا نحو هذا الإمر،إزاي يعني؟ هذا لا يطيقه أي إنسان، رد غائبي؛ من غير أسباب ظاهرة، ما هواش مكتفه له هيحله مثلًا، بيقول له: لأ أنت بس إدعك الفلوس طلع لي قريبي، لا ما في من يطيق هذا لا لا يطيقه أحد، يبقى لابد في الإستغاثة عشان إحنا عندنا قانون قرآني في جواز الإستغاثة بالبشر فيما

يقدرون عليه، إذا كان المستغاث به حيًا حاضرًا (فإستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه)، يبقى سيدنا موسى عليه السلام الراجل قال له: إلحقني يا موسى، موسى موجود، حي مش ميت، حاضر مش في بلاد ثانية، يقدر أن يضرب وأن يدفع وأن يمنع، فخلاص؟ إعمل زي دي وإحنا نقول لك: أهلًا وسهلًا، إنما ما تقولش لميت: يا شيخ فلان إشفِ مريضي، ده لو حي ما يقدرش، فكيف وهو ميت؟ كذا واضح الأمر؟

ما تقولش لغائب: يا دكتور فلان عالجني إشفيني من مرضي، هو فين مش موجود؟ هو فين الأسباب اللي هيعالجك بها؟ هو في بلد وأنت في بلد؛ يقول لك: هو مش دكتور؟ أيوة بس مش حاضر ده ما ينفعش، يبقى هنا في الإيه؟ ما يجوز في ذلك أي في باب الإستغاثة أن يكون المستغاث به حيًا حاضرًا ذا قدرة وسبب في الشيء، وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك، إما يقينًا وإما بغلبة الظن خد بالك بقى، يعني أنا متيقن إن ده سبب من أسباب العافية أو سبب من أسباب الإغاثة، أو إن أنا غالب على ظني كده، تمام؟ يعني الإنسان واقف قدامي شايفه بعيني وعارف قدرته وهو حاضر موجود وبأطلب منه يشيل من علي حجر أو يفك قيد في يدي، سهلة، تمام كده؟ طيب أنا تايه في الصحراء وبنادي يا ناس يا عالم أنا تايه حد يسمعني، أنا كده مش شايف حد بس أنا بأنادي عشان إحتمال حد يسمعني، يبقى كده في إيه؟ في غلبة ظن إن أنا لما أرفع صوت الناس هتسمعني.

ولذلك معاني الإستغاثة العالمية اللي إحنا قلنا اللي هي SOS اللي إشارة الإستغاثة العالمية، SOS دي إشارة في كل العالم متفقين عليها إن هنا بعد الإيه؟ الطائرات البحثية تروح في الأماكن الصحراوية اللي هي بيغلب عليها إن الناس تتوه فيها، ويدوروا على الإشارة دي، أول لما يشوفوها ينزلوا على طول، طب اللي في الطيارة فوق هيشوفها مكتوبة تحت إزاي؟ قالوا: ما هم بيكتبوها بحجارة قد كده، بيجيب حجارة يرصها جنب بعضها عشان تعمل شكل S وبعدين يمشي شوية يعمل دايرة كبيرة جدا، وهو واقف جواها عشان تنشاف من فوق O، كمان S هي Save Our Souls هي أنقذوا أرواحنا، كلمة بقى إستغاثة العالمية، واحد كتبها عشان ربما طيارة تعدي تشوفه، دا إستغاث بغير الله أو بغائب غير حاضر؟ لا ده بغلبة ظنه يمكن يشوفني، تمام؟

زي واحد عمال يتصل في حتة ما فيهاش شبكة، وعمال يصرخ أنا مش سامعك، الصوت بيروح، هل هذ يستغيث بغير الله إستغاثة شركية؟ لأ لأنه أصلاً مع الخط بس الصوت بيروح وبيجي، يبقى دي مسائل غير المسائل اللي هي منهي عنها.

قال: وأما في حق الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم، ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر فلا يقال في حقهم شيء من ذلك، فلا يجوز التعلق عليه، على الميت، بشيء مما يوجبه الوجوه عفوًا بشيء بوجه من الوجوه، والقرآن يبين ذلك وينادي بأنه يجعلهم ألهة إذا سُئِلوا شيئًا من ذلك، أو رَغِب إليهم أحد بقوله أو عمله الباطن أو الظاهر، فمن تدبر القرآن ورُزق فهمه صار على بصيرة من دينه وبالله التوفيق.

قال: والعلم لا يؤخذ قصرًا، وإنما يؤخذ بالأسباب، ذكرها بعضهم في قوله:

أَخي لَن تَنالَ العِلمَ إِلّا بِسِتَّةٍ   سَأُنبيكَ عَن تَفصيلِها بِبَيانِ

ذَكاءٌ وَحِرصٌ وَاِجتِهادٌ وَبُلغَةٌ   وإرشَادِ أُستاذٍ وَطولُ زَمانِ

وأعظم هذه الستة من رزقه الله الفهم والحفظ، وأتعب نفسه في تحصيله، فالله الموفق لمن شاء من عباده كما قال تعالى: (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا).

نكتفي بهذا القدر،،

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى إله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً